

إضاءات نقدية (فصلية محكمة)

السنة الثامنة - العدد الثلاثون - صيف ١٣٩٧ش / حزيران ٢٠١٨م

صص ٥٤ - ٣٣

## توظيف الرواية التاريخية للسيرة النبوية في كتاب "الهجرة"

لـعبد الحميد جودة السحار

حسن سرباز\*

### ملخص

اهتم المسلمون قديما وحديثا بالسيرة النبوية العطرة وبكل ما يتصل بحياة الرسول الكريم (ص) بمختلف الأساليب وشتى الوسائل. فكان من نتائج هذا الاهتمام، هذه الثروة العظيمة من الكتب المؤلفة في مولده وسيرته. وقد ساهم الشعراء والأدباء في تدوين سيرة النبي (ص) وتخليد مناقبه فظهرت منظومات تاريخية وقصائد شعرية عرفت في تاريخ الأدب العربي بالمدائح النبوية يتحدث فيها الشعراء عن مدح المصطفى وسيرته وغزواته ومعجزاته. وفي العصر الحديث ظهر جيل جديد من كتاب القصة والرواية استهوتهم السيرة النبوية فقاموا بتوظيف فنهم القصصي والروائي لأحداث السيرة النبوية الكريمة وبذلك مزجوا بين الفن والتاريخ وبين الدين والأدب. ومن هؤلاء الكتاب عبد الحميد جودة السحار الذي اتجه إلى توظيف الفن القصصي للسيرة النبوية برؤية إسلامية، فكتب سيرة رسول الرحمة (ص) في سلسلة من القصص تحت عنوان «محمد رسول الله والذين معه» في عشرين جزءا. ويهدف هذا البحث مستفيدا من المنهج الوصفي التحليلي إلى دراسة توظيف الرواية التاريخية للسيرة النبوية في كتاب «الهجرة» من مجموعة «محمد رسول الله والذين معه» لعبد الحميد جودة السحار. ملقيا الضوء علي كيفية المزج بين السيرة النبوية والفن القصصي في هذا الكتاب. ووصلت الدراسة إلى أن السحار استعان لبيان حوادث السيرة النبوية في كتاب «الهجرة» بالسرد القصصي واعتمد في عرض الحوادث ورسم الشخصيات علي طريقة السرد المباشر والتزم في تصوير شخصياته بالواقعية واتبع في رواية الأحداث التسلسل الزمني، واستفاد بعض الأحيان من بعض المفارقات الزمنية بشكل «الاسترجاع» و«الاستباق». واكتفي السحار بالأماكن التاريخية التي كانت مسرحا لأحداث السيرة النبوية في الفترة التاريخية المحددة. وأكثر من استخدام الحوار. الكلمات الدليلية: السيرة النبوية، عبد الحميد جودة السحار، الرواية التاريخية، كتاب الهجرة.

\*. أستاذ مشارك بجامعة كردستان، سنندج، إيران

gmail.com@h.sarbaz1353

تاريخ القبول: ١٩/٥/١٣٩٧ش

تاريخ الاستلام: ١٨/١/١٣٩٧ش

## ١- المقدمة

اعتمد كتاب القصة والرواية في الأدب العربي المعاصر علي التاريخ كمصدر أساسي لإحياء التراث العربي والإسلامي، فكان التاريخ الفرعوني وتاريخ العرب قبل الإسلام، والتاريخ الإسلامي، والتاريخ المعاصر مصادر للقصة العربية استلهم منه الكتاب وفق تصوّرهم وخط سيرهم الفكري، وبذلك «يكاد يكون الأديب متخصصاً في تيار حضاري معين، يعبر به عن وجهة نظره في تحديد نوع الحضارة التي يجب أن نستلهم.» (وادي، ١٩٩٤: ١٦٤)

واللجوء إلى التاريخ ليس هروباً من الواقع، بل هو محاولة لفهم التاريخ والتبصر فيه والاتّعاظ به والاستفادة منه لبناء مستقبل أفضل، وحين يصبح التاريخ مادة للرواية «يصير بعثاً كاملاً للماضي، يوثّق علاقتنا به ويربط الماضي والحاضر في رؤية فنية شاملة فيها من الفن، روعة الخيال ومن التاريخ، صدق الحقيقة.» (المصدر نفسه: ١٥٤)

ويعتبر التاريخ الإسلامي معيناً خصبا للرواية التاريخية، لأنه يمتدّ طويلاً وعرضاً وزماناً ومكاناً، فزمانه خمسة عشر قرناً، ومكانه يمتدّ من الأندلس والمغرب إلى أندونيسيا، ومن بلاد الففقالس إلى اليمن وأواسط أفريقيا، وهو تاريخ مليء بالأحداث والأشخاص ونشوء الدول وانحدارها، والغزوات الحربية والنكبات الداخلية. (جرار، ١٩٩٨: ١٩٨)

فيستطيع القاص والروائي أن يستلهم هذا التاريخ في قصصه ليبرز مثله وقيمه، ويصوّر ملامح الشخصيات الإسلاميّة البارزة كنماذج للإنسان الكامل في المجالات المختلفة، ويعالج قضايا الإنسان المعاصر، ويعبر عن همومه ومشاكله من خلال وسائله الفنيّة التي يستعين بها في بلورة أفكاره وعرض قضاياها.

وتأتى السيرة النبويّة في مقدمة الموضوعات التاريخية التي استهوت الأدباء وكتّاب القصة التاريخية، فقاموا بتقديم سيرة النبي (ص) وتصوير الفترة والبيئة التي عاش فيها بأحداثها وأشخاصها باعتبارها النموذج الأعلى للمسلمين عبر العصور من خلال قصص فنية اعتمدوا فيها علي التاريخ كركيزة أساسية. واتخذت هذه الكتابة اتجاهات مختلفة ومناهج متباينة تتفق وفلسفة القاص أو منهجه أو غايته، فكتب طه حسين كتاب "علي هامش السيرة" سنة ١٩٣٣م خلط فيها بين بعض حقائق السيرة وبعض الأساطير

المختلفة، حيث قال في مقدمته: «وأحبّ أن يعلم الناس أني وسعت علي نفسي في القصص، ومنحتها من الحرّية في رواية الأخبار واختراع الحديث ما لم أجد به بأساً إلاّ حين تتصل الأحاديث والأخبار بشخص النبي(ص)، أو بنحو من أنحاء الدين؛ فإنني لم أبح لنفسي في ذلك حرّية ولا سعة وإنما التزمت ما التزم المتقدّمون من أصحاب السيرة والحديث ورجال الرواية وعلماء الدين.» (حسين، لاتا، ج ١: ك)

وأخرج طه حسين هذا الكتاب في صورة فنيّة جذّابة، وبذلك قد مهدّ الطريق لمحاولات التوظيف الروائي لأحداث السيرة النبويّة مع ما يؤخذ عليه من عدم التمحيص في بعض الروايات والاعتماد علي الأساطير المختلفة.

وبعد كتاب "علي هامش السيرة" تتابعت الأعمال الأدبية التي تستلهم السيرة النبويّة أو جانباً منها، ومنها "الثائر الأعظم - ١٩٥٤م" لفتحي رضوان، و"محمد رسول الحرّية - ١٩٦٤م" لعبدالرحمن الشرقاوي.

وكتب عبد الحميد جودة السحار سيرة رسول الرحمة(ص) في سلسلة من القصص تحت عنوان «محمد رسول الله والذين معه» في عشرين جزء تناول فيها أبرز أحداث السيرة النبوية ملتزماً بالعناصر الأساسية للقصة الفنية. وحاول السحار في هذه السلسلة أن يلتزم بالحقيقة التاريخية في قصص السيرة النبوية ويستخرجها من المصادر الأصلية المعتمد عليها دون أن يهمل ذاتيته في عملية الاختيار والترجيح للروايات المتعددة ودون أن يخلّ بفنية عمله الأدبي، فالتزم بالشكل الفني للقصة مستخدماً عناصرها الفنية مثل الشخصيات والحبكة والوصف والحوار و... أحسن استخدام.

و يهدف هذا البحث مستفيداً من المنهج الوصفي التحليلي إلى دراسة التوظيف الروائي للسيرة النبوية في كتاب «الهجرة» من مجموعة «محمد رسول الله والذين معه» لعبد الحميد جودة السحار ملقياً الضوء علي كيفية المزج بين السيرة النبوية والفن القصصي في هذا الكتاب.

#### ١-١- أسئلة البحث

١- لماذا اتجه عبد الحميد جودة السحار إلى الرواية التاريخية في كتابة السيرة

النبوية؟

٢- كيف استفاد عبدالحميد جودة السحار من التقنيات الفنيّة للرواية التاريخيّة في كتاب "الهجرة" من مجموعة "محمد رسول الله والذين معه"؟

### ٢-١- الدراسات السابقة

هناك دراسات متعدّدة تطرّقت إلى حياة عبدالحميد جودة السحار وآثاره وأفكاره من زوايا مختلفة نشير إلى بعض منها علي سبيل المثال لا الحصر:

تحدّث صفوت يوسف زيد (١٩٨٥م) في كتاب «التيّار الإسلامي في قصص عبدالحميد جودة السحار» عن الاتجاه الإسلامي في آثار السحار القصصيّة مقسّماً آثاره إلى الروايات التاريخية، والروايات الاجتماعية، والمجموعات القصصيّة وقصص الأطفال. وأجري محمد شلبي (١٩٩٤م) في مجلة «الجديد» حواراً مع السحار قبيل وفاته بعنوان «آخر حديث مع السحار» ناقش معه الهدف من كتابة مجموعة «محمد رسول الله والذين معه» ومنهجها. (شلبي، ١٩٧٤م: ٤٦). وتطرّق السيّد حسن قرون في بحثه المنشور في مجلة الأزهر تحت عنوان «كتاب الشهر، الهجرة» إلى دراسة كتاب «الهجرة» دراسة مضمونيّة دون أن يتطرق إلى التقنيات الفنيّة المستخدمة في الكتاب وأشار في نهاية البحث إلى بعض الملاحظات المضمونية حول الكتاب. (قرون، ١٤٠١ق: ٢٢٠-٢٢١) ودرس محمد رجب البيومي (١٤٢٢ق) في مقالة «عبدالحميد جودة السحار في قصصه الإسلامي»، الاتجاه الإسلامي في آثاره القصصية.

وتطرّق جهانغير أميرى وزملاؤه (١٣٩٣ش) في مقالة «قصة وسوسة الشيطان لجودة السحار، دراسة وتحليل في ضوء التقنيات الجديدة في فن كتابة القصة» إلى بعض التقنيات الجديدة في هذه القصة. وتحدّث على صابري ومصطفى يگاني (١٣٩٤ش) في مقالة «الشخصيّة الدينيّة في روايات عبدالحميد جودة السحار الاجتماعيّة»، عن الشخصيات الدينيّة وكيفيّة عرضها عند السحار.

### ٢- عبدالحميد جودة السحار ومجموعة "محمد رسول الله والذين معه"

ولد عبدالحميد جودة السحار الأديب والروائي الإسلامي المصري سنة ١٩١٣م في القاهرة ونشأ وترعرع فيها وتخرّج في كليّة التجارة بجامعة فؤاد الأول عام ١٩٣٧م

وعمل في عدة وظائف حكومية منها مترجم في سلاح الطيران الملكي ومدير بوزارة التجارة والصناعة ورئيس مجلس إدارة الشركة العامة للتجارة بوزارة الاقتصاد ورئيس مؤسسة السينما والمسرح والموسيقي. وتوفي سنة ١٩٧٤م في القاهرة.

وقد ظهرت نزعة الأدبية والقصصية منذ فترة مبكرة من حياته حينما كان تلميذاً في المدرسة الابتدائية فقرأ للمازني ومحمود تيمور وفريد أبو حديد وتوفيق الحكيم وعلي حد تعبيره كل ما تصل يده إليه من قصص وروايات. (جودة السحار، القصة من خلال تجاربي الذاتية: ٥-٦) وفي الجامعة تعرّف علي الآداب الأوروبية فقرأ «قصتي المفضلة» وهي مجموعة أقاصيص لأشهر كتّاب إنجليز ومنتخبات من أشهر المسرحيات الإنجليزية. (المصدر نفسه: ٦)

وبعد أن جمع ثروة علمية وأدبية ضخمة، اتّجه إلى الكتابة والتأليف فلمع نجمه في مجال الصحافة والقصة والرواية والسينما والدراسات الأدبية والإسلامية ولكن وجهه جَلَّ اهتمامه إلى كتابة القصة والرواية فأصدر في الفترة ما بين ١٩٤٣م و١٩٧٤م آثاره القصصية بصور مختلفة من رواية تاريخية واجتماعية، وقصص قصيرة، وقصص للأطفال. ففي مجال الرواية التاريخية كتب روايات «أبوذر الغفاري - ١٩٤٣م»، و«بلال مؤذن الرسول - ١٩٤٤م»، و«سعد بن أبي وقاص - ١٩٤٥م»، و«أبناء أبي بكر الصديق - ١٩٤٦م»، و«أهل بيت النبي - ١٩٤٨م»، و«أميرة قرطبة - ١٩٤٩م»، و«المسيح عيسي ابن مريم - ١٩٥١م»، و«محمد رسول الله والذين معه» في عشرين جزء صدر الجزء الأول منها سنة ١٩٦٥م، وصدر الجزء الأخير منها سنة ١٩٧٠م، و«عمر بن عبدالعزيز - ١٩٧٢م». وفي مجال الرواية الواقعية الاجتماعية كتب روايات: «في قافلة الزمان - ١٩٤٧م»، و«النقاب الأزرق - ١٩٥٠م»، و«الشارع الجديد - ١٩٥٢م»، و«المستنقع - ١٩٥٧م»، و«أم العروسة - ١٩٥٨م»، و«وكان مساءً - ١٩٥٨م»، و«الحصاد - ١٩٥٩م»، و«جسر الشيطان - ١٩٦٢م»، و«الحفيد - ١٩٧٤م». وله في مجال القصة القصيرة مجموعات قصصية: «في الوظيفة - ١٩٤٤م»، و«همزات الشياطين - ١٩٤٦م»، و«قصص من الكتب المقدسة - ١٩٥٢م»، و«أرملة من فلسطين - ١٩٥٩م»، و«ليلة عاصفة - ١٩٦٣م»، و«خفقات قلب» صدر بعد موته سنة ١٩٨١م. (زيد، ١٩٨٥م:

(٢٨٨-٢٨٦)

وأما في مجال قصص الأطفال فقد أصدر سلسلة قصصية مشتملة علي خصائص الصياغة الفنية من ناحية الشكل والمضمون، يهدف فيها إلى بثّ الأخلاق الفاضلة والقيم الرفيعة في نفوس الصغار من خلال العرض القصصي للتاريخ الديني في صورة مبسطة تتناسب مع مداركهم وفترة نموهم، فأصدرها في أربع حلقات تتضمن الأولى منها معالجته الفنيّة لقصص الأنبياء وكان إصدار هذه الحلقة بالمشاركة مع سيّد قطب، والثانية تضمّنت بالعرض قصص السيرة النبويّة، والثالثة جاءت حافلة بقصص الخلفاء الراشدين، أمّا الحلقة الرابعة فقد تناول الكاتب فيها بالمعالجة حياة العرب في أوروبا وما واجههم من مشكلات وما قاموا به من فتوحات حتى آخر أيامهم بالأنديلس. (المصدر نفسه: ٢٣٨)

ومن أهم ما كتبه السحار في مجال الرواية التاريخية هو موسوعة «محمد رسول الله والذين معه» في عشرين جزء تحدّث في الأجزاء الخمسة الأولى عن «أبو الأنبياء إبراهيم»، و«هاجر المصريّة أم العرب»، و«بنو إسماعيل»، و«العدنانيون»، و«الفريش»، وبعد ذلك بدأت الأجزاء الخاصّة بالسيرة النبويّة بـ «مولد الرّسول» وانتهت بـ «وفاة الرّسول»، تناول فيها أبرز أحداث السيرة النبويّة وتتبع حياة الرّسول منذ ولادته، وما أحاط به من قيم المجتمع الجاهلي وعاداته وعقائده، وكيف عاش رسول الله (ص) معها في طفولته وصباه وشبابه ورجولته حتى بعثه الله بالنبوة والهداية فدعا إلى الله علي وعي وبصيرة وأخرج عباد الله من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة. (المصدر نفسه: ٧١)

وكان السحار مولعاً بالسيرة النبويّة منذ طفولته حينما كان يشارك مع أبيه في المجالس الليليّة ويستمتع إلى قراءة «السيرة النبوية» لابن هشام و «علي هامش السيرة» لطلح حسين وكانت كتابة السيرة النبويّة بالأسلوب القصصي من أمنيّاته القديمة. يقول السحار في ذلك: «وشببت وأنا معجب بمحمد رسول الله (ص) فلمّا عرفت كيف أقرأ، عكفت علي قراءة كتب السيرة وما كتب عن الرسول الكريم فازداد إعجابي بشخصيّة الفذة الفريدة. وهويت الكتابة فكانت أمنيّتي مذ حملت القلم أن يوفّقني الله إلى

كتابة السيرة النبوية في أسلوب قصصي يجذب القارئ.» (جودة السحار، أبو الأنبياء إبراهيم: ٢٦١)

ويبين السحار غرضه من كتابة السيرة النبوية بهذا الأسلوب قائلاً: «وما أردت بكتابة هذه السيرة في هذا العصر الذي طغت فيه المادية إلا أن أعرض حقة مشرقة من تاريخ البشرية ارتفع فيها الإنسان حين أسلم وجهه لله ورفع عبادته من الطبيعة إلى ما فوق الطبيعة، حقة تحرر فيها من العبودية... أردت بهذه السيرة أن أفسر التاريخ تفسيراً روحياً وأن أظهر ضمير الإنسان من أدان المادية الطاغية وأن أعيد إليه رفايته التي بلغت غايتها في ظل الدين، وأن أعيد إلى الإنسان كرامته التي تتألق وتركو كلما سما فوق مطالب الأبدان وضرورات الغرائز وما تهفو إليه النفوس.» (المصدر نفسه: ٢٦٨)

وقد اعتمد السحار في كتابة هذه السيرة علي القرآن الكريم وعلي الأحاديث النبوية والتوراة وكتب التاريخ فيما يتفق مع القرآن وطبيعة الدعوة وصفات الرسول (ص). (شلي، ١٩٧٤م: ٤٦)

واختار السحار الأسلوب القصصي لكتابة السيرة مع أنه كان عالماً بصعوبته ولكن مع ذلك حاول أن يحافظ علي الحقائق التاريخية وهو يقول في ذلك: «اخترت أن أكتب السيرة بأسلوب قصصي وأنا علي علم بما يعانیه كاتب التاريخ من مشقة إذا حاول أن ينهج في كتابته نهج القصة... حاولت جهدي وإن كنت أكتب قصة أو ما يشبه قصة أن أحافظ علي الحقيقة التاريخية، فما من حادثة دونتها إلا ولها سند. وقد مَحَصت الروايات المختلفة واخترت أقربها إلى المنطق وروح الدعوة، وإن تعارضت مع ما ورد في التوراة أو بعض الأحاديث أو مع المتواتر بين المؤرخين.» (جودة السحار، أبو الأنبياء إبراهيم: ٢٦٢)

والأسلوب القصصي الذي اختاره الكاتب لا يسمح له أن يتطرق إلى دراسة الآراء المختلفة حول بعض الموضوعات في السيرة النبوية، ولذلك كتب في آخر كل جزء من أجزاء المجموعة تذييلاً تحدّث فيه عن هذه الآراء المختلفة وهو يقول في ذلك: «...كما عزمت أن أدون في نهاية كل جزء من أجزاء السيرة الأفكار التي تصارعت في ذهني قبل أن أطمئن إلى الرأي الذي دونته في ثنايا الكتاب ليطلع القارئ علي كل وجهات

النظر لعلّ الله ينير بصيرته فيري أשוב مما اطمئنّ إليه قلبى.» (المصدر نفسه: ٢٦٣)

### ٣- الأسلوب القصصى فى كتاب الهجرة

كتاب الهجرة هو الجزء الحادى عشر من مجموعة «محمد رسول الله والذين معه» تحدّث فيه السحار عن هجرة رسول الله (ص) وأصحابه من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، ولكنه لم يبدأ الكتاب بالهجرة مباشرة، بل بدأ بالحديث عن عام الحزن الذى تألم فيه رسول الله (ص) بسبب فقد عزيزيه عمّه أبى طالب وزوجته الوفيّة خديجة بنت خويلد، ثم تحدّث عن ضيق النبىّ (ص) بمكة بعد فقد هذين العزيزين وكيف أكرمه الله فى الأرض والسماء بعد كلّ ما عاناه من ضيق وألم فأمن به الجنّ فى الأرض حينما رجع من الطائف وسمعوه يتلو القرآن فى «نخلة» وأسرى به ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى المبارك ثم عرج به فى السماء فكان قاب قوسين أو أدنى. ثم تحدّث عن موقف قريش من رحلة الإسراء والمعراج وإنكارهم له وتصديق أبى بكر الصديق لما أخبر به دون توقّف ولا ترديد.

وبعد ذلك أشار إلى اللقاء الخالد بين رسول الله (ص) ووفد من الخزرج وإسلامهم ثم بيعة الأنصار فى العقبة ومؤامرة قريش للفتك بالنبىّ ثم دور على بن أبى طالب فى إفشال مؤامرة قريش ونومه فى فراشه وهجرته مع أبى بكر إلى المدينة وما حدث لهم فى الطريق. ثم تحدّث عن استقرار رسول الله (ص) فى المدينة وهجرة الصحابة إليها والمؤاخات بين المهاجرين والأنصار وتكوين المجتمع المسلم والدولة الإسلامية. وبعد ذلك تطرّق بإسهاب إلى مواقف اليهود والمنافقين العدائيّة تجاه رسول الله والمسلمين فى المدينة المنورة.

وأنتهى السحار الكتاب ببوادر الغزوات وخروج قريش لمهاجمة المدينة للقضاء على محمد (ص) والمجتمع الإسلامى فيها بعد ما تعرّض المسلمون للقافلة التجارية القادمة من الشام التى كان يقودها أبوسفیان. ونقرأ فى نهاية الكتاب: «وخرجت قريش فى عدتها وغرورها وهى واثقة من القضاء على محمد عليه السلام وأصحابه من المهاجرين والأنصار، ولو رفعت أسجاف الغيب وألقوا أسماعهم إلى صوت قدر الله، لسمعوا النذير



يقول في وضوح: يا قوم والله ما تساقون إلا لمصارعكم.» (جودة السحار، الهجرة: ٢٨٧) عالج السحار كل هذه الموضوعات برؤية إسلامية وروح أدبية ونزعة تاريخية. (قرون، ١٤٠١ق: ٢٠٠-٢٠١)

هذا من ناحية المضمون، وأما من ناحية الشكل الفني فإنه استعان بالسرد القصصي يصف به الشخصيات التاريخية ويحركها في إطارها التاريخي ويقرب بخياله القصصي صور هؤلاء الأبطال وعلي رأسهم الرسول العظيم (ص)، ولذلك فعل ما يفعله كتاب القصة الفنية، فجعل يرسم الشخصيات ويربط الأحداث بعضها ببعض في سياق متكامل متبعا تطورها ومراحل نموها حتى يصل إلى النهاية، متوسلا في ذلك بالخيال الفني الذي يعنى باختيار الحقائق من واقعها وترتيبها ترتيبا فنيا واقعا بالقدر اللازم مبتعدا به عن تراكم الحقائق الذي يقع فيه المؤرخ ومتحاشيا من الخيال الكاذب الذي يتوسل به الكثير من الأدباء. (زيد، ١٩٨٥م: ١٠١-١٠٢) وفي هذا القسم من البحث نقوم بدراسة الجانب الفني والروائي في كتاب الهجرة.

### ١-٣- السرد وطريقة عرض الحوادث

يعتبر السرد من العناصر الأساسية في الرواية، وذلك لأن عملية الحكى تقوم علي دعامين أساسيين وهما القصة التي تضم أحداثا معينة، والطريقة التي تحكي بها تلك القصة، وتسمى هذه الطريقة سردا. (حميداني، ١٩٩١م: ٤٥) وهناك طرق مختلفة لسرد حوادث القصة وتطويرها، ومنها طريقة السرد المباشر وطريقة السيرة الذاتية. ففي الطريقة الأولى يسرد القاص الأحداث في تتابع، ويقدم أشخاص القصة، ويصرف تصرفاتها، ويحلل أفعالها، ويسير بالأحداث والشخصيات السير الطبيعي حتى تبلغ الأحداث نهايتها. (جودة السحار، القصة من خلال تجاربي الذاتية: ٤٠) ويعتمد الكاتب في هذه الطريقة علي السرد بضمير الغائب، فيسرد ما تقوم به شخصيات قصته وما تدور في نفوسهم عن زاوية رؤية إحدى شخصيات القصة أو خارجها. وتتيح هذه الطريقة للقاص أن يتتبع جميع شخصيات القصة، وأن يعيش معهم، ويعرض كل ما يهمه من تصرفاتهم، وما تختلج به نفوسهم، وما يعتمل في صدورهم، وما يدور في رؤوسهم، وما

يشترج بينهم من صراع، وأن يجرك الشخصيات ويرسم الأمكنة والمواقف كما يشاء.  
(المصدر نفسه: ٤٠)

وفي الطريقة الثانية يكتب القاص قصته بضمير المتكلم ويضع نفسه مكان البطل أو البطلة، أو مكان إحدى الشخصيات الثانوية، ليبت علي لسانها حوادث القصة الواقعية أو المتخيلة، فإن كانت الحوادث مما قام بها الراوي نفسه، يسمي الراوي «الراوي - البطل» وإن لم تكن الحوادث من صنعه، بل كانت مما شاهدها الراوي في القصة، يسمي الراوي «الراوي - الناظر». (ميرصادقي، ١٣٦٤ش: ٢٥٠)

ونشأ استعمال ضمير المتكلم متواكباً مع ازدهار أدب السيرة الذاتية فكانه امتداد لها أو امتداد منه، كما نشأ عن ازدهار حركة التحليل النفسي التي كان تأثيرها عميقاً في الفكر الغربي. إن ضمير المتكلم نشأ في الغالب ليتضاد مع البعد التاريخي الذي يجسده ضمير الغائب. (مرتا، ١٩٩٨م: ١٨٩)

ويعتمد السحار غالباً في كتاب «الهجرة» لعرض حوادث القصة وتطويرها، ورسم شخصياتها، علي طريقة السرد المباشر، أي السرد بضمير الغائب، التي يجعل للكاتب عادة حضوراً ملحوظاً في القصة، وتجعل القارئ يحس بالملل والرتابة أحياناً، إلا أنه تغلب علي هذه الرتابة السردية بوسائل فنية متعددة مثل الوصف الحى، والحوار، والمونولوج الداخلى بعض الأحيان. وفي بعض المواضع المحدودة يعتمد علي الطريقة الثانية أي السرد بضمير المتكلم.

وفي الطريقة الأولى، الراوي والسارد في كتاب «الهجرة» هو راوٍ غير مشارك يتعد عن شخصيات الرواية ويختلف موقعه عن مواقعها وينظر إليها نظرة الراصد الملاحظ لأفعالها من بعيد أو نظرة المتتبع لأخبارها فقط (الكردي، ٢٠٠٢: ١٢٠)، وهو ليس شخصية من شخصيات القصة وليس له دور في أحداثها إلا السرد والرواية. ففي بداية الكتاب نقراً: «تألم رسول الله (ص) ألماً شديداً في عام الحزن، فبعد عشر سنوات من دعوته، مات عمه أبو طالب الذى كان يمنع أذى قريش عنه قبل أن يصبح له أنصار أقوىاء يمنعونه ويقومون معه يقاومون طغيان الكافرين، ويعملون جاھدين علي نشر أنوار اليقين في قلوب الناس الراغبين في جوهر الحقيقة.» (جودة السحار، الهجرة: ٤)

ويقول السحار حول قدوم رسول الله (ص) وصاحبه الصديق إلى المدينة: «وكان رسول الله عليه صلواته وسلامه وأبوبكر الصديق وعامر بن فهيرة والدليل يتقدمون وقد حفّ بهم بريدة وقومه مستبشرين بأن هداهم الله إلى النور، وعلي مدي البصر لاحت قافلة قادمة، لم تكن قافلة من قوافل قريش بل ركباً من المسلمين كانوا تجّاراً قافلين من الشام.» (المصدر نفسه: ١٢١) وفي هذه الطريقة لم يستفد السحار من الراوى المشارك الذى يشارك الشخصيات فى صناعة الأحداث وتطويرها.

وقد يعتمد فى هذا الكتاب علي الطريقة الثانية للسرد ويستفيد من ضمير المتكلم فيقول علي لسان سلمان الفارسي وكان يروى ما حدث له فى طريقه إلى المدينة ومجثه عن الحقيقة: «ومكثتُ بعموريّة ما شاء الله أن أمكث، ثم مرّ بي نفر من كلب تجّار فقلتُ لهم احمّلوني إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي هذه، قالوا: نعم. فأعطيتموها وحملوني معهم حتى إذا بلغوا وادى القري ظلموني فباعوني من رجل يهوديّ عبداً، فكنتُ عنده ورأيت النخل فرجوت أن يكون البلد الذى وصف لى صاحبي... فبينما أنا عنده إذ قدم عليه ابن عم له من بنى قريظة من المدينة فابتاعنى منه فاحتملنى إلى المدينة، فوالله ما هو إلّا رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي فأقمتُ بها.» (المصدر نفسه: ١٥٠) والراوى هنا هو أحد أشخاص القصة وأحد المتورطين فيها ولذلك يسمّى الراوى البطل كما يصنّف هذا الراوى عادة باعتباراه سارداً من داخل الحكاية، سارداً مشاركاً. (خليل، ٢٠١٠م: ٧٨)

### ٣-٢- الشخصيات

الشخصية من العناصر الفنية الأساسية فى الرواية بحيث لا يمكن أن تخلو أية رواية من الروايات عنها. ولا بدّ أن تتحرّك الشخصيات علي صفحات الرواية حركة الأحياء، لأنّ شخصيات الرواية وأبطالها هم الذين تدور حولهم الأحداث، وهم الذين يفعلون الأحداث ويؤدّونها. وشخصيات الرواية قد تكون شخصيات واقعية يأخذها الكاتب من التاريخ أو من واقع المجتمع وقد تكون شخصيات خيالية يأخذها من وحي خياله. وهناك طرق مختلفة لتقديم شخصيات الرواية وعرض أبطالها والتطوّر بهم وكشف

جوانبهم. فبعض الكتّاب يعمّدون في رسم شخصياتهم إلى وسائل مباشرة أو الطريقة التحليلية، وبعضهم يستفيدون من الوسائل غير المباشرة أو الطريقة التمثيلية، «ففي الحالة الأولى يرسم الكاتب شخصياته من الخارج، يشرح عواطفها وبواعثها وأفكارها وأحاسيسها، ويعقب علي بعض تصرفاتها، ويفسّر البعض الآخر، وكثيراً ما يعطينا رأيه فيها صريحاً دون ما التواء، أما في الحالة الثانية فإنه ينحّي نفسه جانباً ليتيح للشخصية أن تعبر عن نفسها وتكشف عن جوهرها بأحاديثها وتصرفاتها الخاصة، وقد يعتمد إلى توضيح بعض صفاتها عن طريق أحاديث الشخصيات الأخرى عنها وتعليقها علي أعمالها.» (نجم، ١٩٧٩م: ٩٨) وفي الطريقة الثانية قد يعتمد الكاتب لعرض شخصياته إلى الحوار بين الشخصية والشخصيات الأخرى، أو بين الشخصية ونفسها.

وشخصيات السحار في رواية «الهجرة» شخصيات واقعية أخذها من التاريخ والشخصية الأصلية فيها هي شخصية رسول الله (ص) التزم السحار في تصويرها بالواقعية ولم يسمح لنفسه أن يطلق عنان خياله في هذا المجال وذلك «لأن إجلاله لنبية يمنعه أن يستفيض في تحليل نفسي لمشاعر قد لا تكون لها نصيبها من الواقع الصحيح، لأن الشخصية المقدسة ذات الجلال الغامر لا يبلغ إنسان ما مدي تفكيرها وتصورها بالغاً ما بلغ.» (البيومي، ١٤٢٢ق: ١٢٨) إلى جانب شخصية الرسول يمكن العثور علي عدد هائل من الشخصيات في هذه الرواية لها منازع متعدّدة ومشارب مختلفة، من الصحابة المهاجرين والأنصار والمشرّكين والمنافقين واليهود.

ويستفيد السحار لتقديم شخصياته وعرض أبطاله، من الطريقة المباشرة أو التحليلية، في رسم شخصياته من الخارج فيشرح عواطفها وأفكارها وأحاسيسها، وقد يعتمد إلى الطريقة غير المباشرة أو التمثيلية، فينحّي بنفسه جانباً ليتيح للشخصية أن تعبر عن نفسها وتكشف عن جوهرها بأحاديثها وتصرفاتها الخاصة، وفي هذه الطريقة يستفيد من تقنية الحوار بين الشخصيات بعضها مع بعض، أو بين الشخصية ونفسها.

ففي الطريقة الأولى قد يقوم السحار برسم شخصياته بالوصف الظاهري دون أن يغور في أعماقهم، فيقول مثلاً في توصيف «سودة» زوجة النبي: «كانت سودة ثقيلة الجسم وكانت عاطلة من جمال وكانت مسنة، وكانت تعرف أنّ الرسول لم يتزوجها إلاّ

ليسمح عنها ما قاست من أهوال في سبيل الله.» (جودة السحار، الهجرة: ٢٩) وفي موضع آخر يصف أحد المنافقين باسم نبتل بن الحارث وصفاً مقدعاً يجعله منفوراً مطروداً أمام أعين القراء فيقول: «كان نبتل رجلاً جسيماً مسترخياً الشفتين نائر شعر الرأس أحمر العينين، كبده أغلظ من كبد الحمار، وكان ذا وجهين يجلس إلى الرسول عليه السلام بوجهه ويقبل علي المنافقين بوجه آخر، فكان إذا ما جلس إليهم هون من شأن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، وقد كشف أمره القرآن وقال رسول الله فيه: من أحب أن ينظر إلى الشيطان فلينظر إلى نبتل بن الحارث.» (المصدر نفسه: ٢٠٢)

ولا يكتفى السحار في رسم شخصياته بهذا الوصف الظاهري للشخصية، بل قد يغور في نفسها ليكشف للقارئ ما يدور في أعماقها، وذلك عن طريق تحليل عواطفها في مواقفها من الأحداث القصصية، أو من خلال رصد حديث النفس الذي يدور في أعماقها. فيصوّر مثلاً الحالة الروحية والعاطفية لرقية بنت النبي ﷺ بعد أن رجعت مع زوجها عثمان بن عفان من الحبشة واستقبلتهما أختها أم كلثوم وفاطمة وأم المؤمنين سودة بنت زمعة وتذكرت أمها خديجة بنت خويلد قائلاً: «وساروا في الممر الطويل ثم صعدوا في الدرج فإذا بقلب رقية ينقبض، فعماً قليل ستقع عينها علي غرفة الآمّ الرووم، وجعلت تقاوم حتى لاتنهار وسارت معهم وهي غائبة عنهم بما يعتمل في نفسها من انفعالات، إنّ الدموع تبلّل روحها وإنّ وقدة نار قد استقرّت في حنجرتها حتى لم تعد تقوي علي الكلام، وفجأة ندت منها صرخة أعقبها نداء حنون لكأّما كان خنجراً مزقّ الأكبّاد: أمّاه! أمّاه!» (المصدر نفسه: ٨٧) ويصف الحالة الروحية لزينب بنت النبي (ص) بنفس الصورة. (المصدر نفسه: ٢١٠)

وفي موضع آخر يصف ما جال في صدر صفية بنت حيبي بن أخطب حينما كانت تري أباها وعمّها أبا ياسر يدوران حول رسول الله (ص) ويقطران حقداً وضيعنة علي الرجل الذي جاء يدعو إلى المحبة والسلام ويقول: «إنّها تحسّ عطفاً علي رسالته بل حماسة إلى دعوته، وإنّ همساً غريباً يهجس في أغوار أعوارها أن سيكون لها شأن في حياة النبي عليه السلام. ولو رفعت عن بصيرتها حجب الغيب لرأت نفسها زوجة للرسول صلوات الله وسلامه عليه ولخفق قلبها سرورا وتهلّت بالفرح بأن من الله عليها بأن تصبح أمّ

المؤمنين.» (المصدر نفسه: ٢٠٨)

وقد يستفيد السحار لرسم شخصياته من الطريقة غير المباشرة فيتيح للشخصية أن يعبر عن نفسها بأحاديثها وتصرفاتها الخاصة. فمن خلال ما يقوم به أبو جهل وأبو لهب نستطيع أن نتعرف علي شخصيتهما وما يكناهن من حقد وضغينة تجاه رسول الله (ص) ودعوته كما نتعرف علي شخصية عبدالله بن أبي بن سلول رأس المنافقين في المدينة و شخصية حبي بن أخطب من أحبار اليهود في المدينة من خلال ما يقومان به من دسائس وحيل لتشويه صورة الإسلام وإشعال نار الفتنة بين المهاجرين والأنصار وبين الأوس والخزرج.

وفي هذه الطريقة قد يعمد السحار إلى أسلوب الحوار لرسم شخصياته بحيث يمكن التعرف علي الشخصيات من خلال الحوار الذي يجريه الكاتب علي ألسنتهم. ففي قصة الإسراء والمعراج وبعد أن قص رسول الله علي أهل مكة ما رآه من آيات ربه الكبري فكذبته المشركون وتردد بعض المسلمين، يجري حوارا بين بعض المسلمين وأبي بكر الصديق يلقي الضوء من خلاله علي شخصية أبي بكر وصدق إيمانه فيقول: «وقال بعض المسلمين الذين كانوا يتأرجحون بين الإيمان والكفر:

- نحن لانصدق محمدا بما يقول. وسعوا بذلك إلى أبي بكر... فلما التقوا بابن أبي قحافة قالوا في فرع:

- هل لك في صاحبك؟ يزعم أنه أسرى به الليلة إلى بيت المقدس.

\_ أو قال ذلك؟

فقال أبو بكر في هدوء:

- لئن كان ذلك لقد صدق.

فرموه بنظرة منكرة فقالوا:

- أفتصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟

فقال أبو بكر في صدق: نعم إني أصدقه فيما هو أبعد من ذلك.» (المصدر نفسه: ١٥)

فيستطيع القارئ أن يفهم من هذا الحوار ما كان عليه الأصحاب من سلامة الفطرة

وعمق الإيمان وصدق اليقين بكل ما جاء به رسول الله (ص).

## ٣-٣- الحوادث

للحوادث في القصة الفنية مكانة مرموقة حيث تتجلى فيها الفكرة، وتظهر من خلالها الغاية، كما أنها تلقي الضوء على جوانب مختلفة من شخصيات القصة وتكشف عن طبيعتها، وأن تطوير الحوادث هو الذي «يبعث في القصة القوة والحركة والنشاط، وهو العنصر السحري التي تحرك الشخصيات علي صفحات القصة، وتسوق الحوادث الواحدة تلو الأخرى، حتى تؤدي إلى تلك النتيجة المريحة المنعقة التي تطمئن إليها نفس القارئ بعد طول التجوال.» (نجم، ١٩٧٩م: ٣١)

وعلي الكاتب أن يجمع حوادث قصته بصورة منسجمة ومتماسكة حتى يستطيع القارئ أن يتتبعها بشوق ونهم دون أن يعاني صعوبة في فهمها ورصد أحداثها. ومن مجموعة من الأحداث المترابطة تتشكل حبكة القصة التي «هي سلسلة الحوادث التي تجري فيها، مرتبطة عادة برابط السببية.» (المصدر نفسه: ٦٣)، وهي المجري الذي تدفع فيه الشخصيات والحوادث حتى تبلغ القصة نهايتها.

والسببية من المبادئ الفنية المهمة في حبكة القصة التقليدية بمعنى أن كل حادثة في القصة تؤدي إلى الأخرى بانتظام منطقي بحيث تحقق الحيوية لحوادث القصة وتجعل القارئ مشتاقاً لنهايات الحوادث، وذلك ليكون تطور القصة طبيعياً لا يخرج عن نطاق العلية والمعقولة والاحتمال.

والحوادث في رواية الهجرة كثيرة ومتعددة تجمعها وحدة متماسكة ومنسجمة تشكل الحبكة الفنية فيها ومن هذه الحوادث وفاة أبي طالب عم النبي وخديجة بنت خويلد وزوجته، وذهابه إلى الطائف وما حدث له فيها واستماع الجن للآيات القرآنية وقصة الإسراء والمعراج وموقف القريش منها، ثم اللقاء بين رسول الله ﷺ ووفد الخزرج وإسلامهم وبيعة الأنصار في العقبة ومؤامرة قريش للفتك بالنبي ومبيت علي بن أبي طالب في فراشه ثم هجرته مع أبي بكر الصديق إلى المدينة وما حدث لهم في الطريق ثم استقراره في المدينة وهجرة الصحابة إليها والمؤاخات بين المهاجرين والأنصار ومواقف اليهود والمنافقين العدائية تجاه رسول الله ﷺ والمسلمين في المدينة المنورة والتعرض لبعض قوافل قريش الراجعة من بلاد الشام.

وهناك ترابط وانسجام منطقي علي مبدأ السببية بين كثير من الأحداث التي حدثت في الرواية، ولكن بما أن الرواية رواية تاريخية شخصيتها الأصلية هي شخصية رسول الله المؤيد من جانب الله تعالى بالحوار والمعجزات، نري فيها بعض الحوادث التي تنسب إلى أسباب غير مادية ولا يمكن توجيهها بالأسباب المادية المألوفة للبشر، وذلك مثل قصة الإسراء والمعراج، واستماع الجن للآيات القرآنية، وقصة أم معبد وما حدث لسراقة حينما أتبع النبي وأراد أن يأخذه ويسلمه للقريش.

ويستخدم السحار أدوات فنية مختلفة لتطوير حوادث رواياته وإيجاد الترابط بينها وبين الشخصيات، وتشويق القارئ لمتابعة القراءة. فقد يعمد إلى الصراع فيطوره، ويبني عليه الحوادث ومما ساعده علي ذلك كثرة الصراعات في الفترة التاريخية التي تجرى فيها أحداث الرواية. فهناك صراع فكري ومادى بين رسول الله (ص) وصناديد قريش، وبين المسلمين والمشركين في مكة المكرمة، وبين الأوس والخزرج، وبين المسلمين واليهود والمسلمين والمنافقين في المدينة. ويستفيد أيضا من عنصر الحوار كثيرا بحيث قلما تقرأ صفحة لا يوجد فيها الحوار، كما أنه قد يستفيد في بعض المواضع من عنصر الرؤيا ويبني عليه الحوادث، فيبنى مثلا صيغة الأذان المصرح بها في المصادر الحديثية علي رؤيا منامية رآها عبدالله بن زيد وعمر بن الخطاب فيقول: «ودخل عبدالله بن زيد لينا م فطاف به وهو بين نائم ويقظان رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوسا في يده، فقال ابن زيد:

- يا عبدالله أتبيع الناقوس؟
- وما تصنع به؟
- ندعو به إلى الصلاة.
- أفلا أدلك علي ما هو خير لك؟
- بلي.

- تقول: ... « ويذكر صيغة الأذان (جودة السحار، الهجرة: ١٦٢)

وعندما يمس الأذان أذني عمر بن الخطاب، يتعجب ويذهب إلى رسول الله (ص) فيخبره عما رآه عبدالله بن زيد في المنام، فيقول عمر: «والذي بعثك بالحق يا رسول الله



لقد رأيت مثل ما رأى عبدالله بن زيد.» (المصدر نفسه: ١٦٣)

### ٣-٤- الزمان والمكان

يعتبر الزمان من العناصر الأساسية التي تتطور من خلالها الأحداث والشخصيات في الرواية. وتسير الأحداث غالبا بترتيب زمني متتابع، ولكن قد تحدث في ترتيب عنصر الزمان اختلالات سميت بـ«المفارقة الزمنية». وتظهر هذه المفارقة الزمنية في الرواية بشكل «الاسترجاع» و«الاستباق» (سرباز، ١٣٩٤ش: ٨٥).

وبما أن هذه الرواية رواية تاريخية تقليدية تنطرق إلى حقبة تاريخية محددة وهي قبيل الهجرة النبوية إلى قبيل غزوة بدر الكبرى في شهر رمضان السنة الثانية للهجرة، اتبع فيها الكاتب التسلسل الزمني، فتجري الأحداث فيها بترتيب زمني غالبا ولكن مع ذلك قد استفاد بعض الأحيان من بعض المفارقات الزمنية بشكل «الاسترجاع والاستدكار» و«الاستباق والاستشراف». واستخدام هذه التقنية الروائية تؤدي إلى توسيع الفضاء الزمني في الرواية وتشويق القارئ ليتابع أحداثها بشوق ونهم. ففي الفصل الرابع والعشرين حينما يتحدث عن انطلاق رسول الله (ص) والمهاجرين في طريق الأبواء ليعترضوا عيرا لقريش وبنى ضمرة لعلهم يستولون علي ما يعوض لهم بعض ما صادره المشركون من أموال المهاجرين في مكة المكرمة، يرجع إلى الوراء ويتحدث عن استذكار رسول الله (ص) حينما كان يرجع من يثرب هذا الطريق مع أمه آمنة بعد أن زارا قبر أبيه. «وتذكر عليه السلام وهو في الطريق ذلك اليوم الذي كان عائدا فيه من يثرب مع أمه آمنة بعد أن زارا قبر أبيه في دار عدى بن النجار. فقد هبت عاصفة هوجاء كادت تخلع الهودج، فمالت أمه عليه واحتوته بين أحضانها لتحميه من الريح الصرصر العاتية... لقد ماتت في الطريق ولم يكن معه إلا أمّ أئمن، فحمل الجثة الغالية معه في الهودج حتى دخل الأبواء ليدفنها هناك بعيدة عن قبر زوجها، بعيدة عن أهلها، غريبة في الأرض لن تجد من يزور قبرها.» (جودة السحار، الهجرة: ٢٣٩) ويوجد هذا النوع من المفارقة الزمنية في صفحات ٩، ٨٥، ٢٣٦، ٢٣٩، ٢٦٥، ٢٧٤ و٢٧٦ من الرواية أيضا. وقد يترك الترتيب الزمني للأحداث ويستشرف المستقبل. فعندما التحق سراقه

برسول الله وأبي بكر الصديق في طريقهما إلى المدينة، يستبق النبي الزمن ويستشرف المستقبل ويقول لسراقة:

«- كيف بك يا سراقة إذا تسوّرت بسواري كسري؟»

فقال سراقة في دهش:

- كسري بن هرمز؟

- نعم.» (المصدر نفسه: ١١٣)

والمكان أيضا من العناصر الأساسية في الرواية وهو الظرف الذي يتم فيه وقوع الحوادث وحركة الشخصيات، ويمثل الفضاء المكاني ركناً مهماً في البناء القصصي «وإنّ ظهور الشخصيات ونمو الأحداث التي تساهم فيها هو ما يساعد علي تشكيل البناء المكاني في النص.» (بجراوى، ١٩٩٠م: ٢٩). وقد استخدم السحار هذا العنصر من خلال تطوير أحداث الرواية وتحريك شخصياتها ولكن بالنظر إلى ماهية هذه الرواية، اكتفي بالأماكن التاريخية التي كانت مسرحاً لأحداث السيرة النبوية في هذه الفترة التاريخية. فمن الأماكن التي وقعت فيها أحداث الرواية، مكة المكرمة ويثرب وشعب أبي طالب وسوق المجنة وسوق ذى المجاز وسوق عكاظ وبيت أم هانئ والكعبة وبيت النبي وبعض الصحابة وغار ثور في مكة ومسجد قبا وبيوت بعض الأنصار ومسجد النبي في المدينة المنورة... وقلماً يقوم السحار بوصف هذه الأماكن وصفا ظاهرياً، بل يكتفي بتصوير الفضاء العام السائد عليها، فيصف مثلاً الحالة العامة لمدينة يثرب قبل أن يهاجر إليها رسول الله (ص) قائلاً: «كانت يثرب تموج بالعداوات فالصراع يشتجر فيها علي الدوام بين اليهود والعرب أو بين الأوس والخزرج. وقد حاولت كل من القبيلتين أن تستعين بأنصار من الخارج مرّة وباليهود مرّة أخرى فلم يعرف المجتمع اليثري الاستقرار.» (جودة السحار، الهجرة: ٤٩)

### ٥-٣- الحوار

ويعتبر الحوار ركناً مهماً من أركان الرواية يعتمد عليه الكاتب في رسم شخصياته وكشف أعماقها والتعبير عن آرائها وأيديولوجياتها ونظرتها إلى الحياة، ولذلك فإن

الرواية «تتطلب أشخاصاً متكلمين يجلبون معهم خطابهم الأيديولوجي الخاص المتميز». (هاوثورن، ١٩٩٨م: ١٦٦)

والحوار يؤدي دوراً مهماً وعميقاً في إضفاء الحيوية علي السياق السردي والبناء الروائي، خاصة في الرواية التاريخية. فضلاً علي ذلك فإن الحوار السلس المتقن قد يكون مصدراً من أهم مصادر المتعة في الرواية حيث تتصل بواسطته الشخصيات بعضها ببعض اتصالاً صريحاً مباشراً.

ويكثر السحار من استخدام الحوار في رواية الهجرة بحيث قلما نجد صفحة من الكتاب تخلو من الحوار وذلك لرسم شخصياته وكشف أعماقها والتعبير عن آرائها ونظرتها إلى الحياة، وأيضاً لتطوير الأحداث والتغلب علي الرتابة السردية التي قد تمل القارىء. فهناك حوار بين رسول الله (ص) وبين المشركين خاصة أبي جهل وبينه وبين الصحابة حول قضية الإسراء والمعراج، وحوار بينه وبين خولة بنت حكيم حول زواجه بعد وفاة أم المؤمنين خديجة، وأيضاً حوار مع وفد الحزرج ودعوتهم إلى الإسلام، وهناك أيضاً حوار بين رسول الله (ص) وبين اليهود والمنافقين في المدينة كما أن هناك حوارات مختلفة بين المهاجرين والأنصار وبينهم وبين المنافقين واليهود.

#### ٤- نتائج البحث

يعتبر عبد الحميد جودة السحار من كبار كتّاب القصة والرواية في الربع الثالث من القرن العشرين وكتب آثاراً قصصية مختلفة من رواية تاريخية واجتماعية، وقصص قصيرة، وقصص للأطفال. ومن أهم ما كتبه في مجال الرواية التاريخية هو موسوعة «محمد رسول الله والذين معه» في عشرين جزء.

كتاب الهجرة هو الجزء الحادى عشر من مجموعة «محمد رسول الله والذين معه» تحدّث فيه السحار عن هجرة رسول الله (ص) وأصحابه من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة واستعان فيه من ناحية الشكل الفني بالسرد القصصى. ويعتمد فيه لعرض حوادث القصة وتطويرها، ورسم شخصياتها، علي طريقة السرد المباشر، أى السرد بضمير الغائب وفي بعض المواضع المحدودة يعتمد علي السرد بضمير المتكلم.

وشخصيات السحار في رواية «الهجرة» شخصيات واقعية أخذها من التاريخ والشخصية الأصلية فيها هي شخصية رسول الله (ص) التزم السحار في تصويرها بالواقعية ولم يسمح لنفسه أن يطلق عنان خياله في هذا المجال. ويستفيد السحار لتقديم شخصياته من الطريقة المباشرة أو التحليلية، وقد يعتمد إلى الطريقة غير المباشرة أو التمثيلية.

والحوادث في رواية الهجرة كثيرة ومتعددة تجمعها وحدة متماسكة ومنسجمة تشكل الحكمة الفنية فيها. وهناك ترابط وانسجام منطقي علي مبدأ السببية بين كثير من الأحداث التي حدثت في الرواية، ولكن بما أن الرواية رواية تاريخية شخصيتها الأصلية هي شخصية رسول الله، نرى فيها بعض الحوادث التي تتسبب إلى أسباب غير مادية ولا يمكن توجيهها بالأسباب المادية المألوفة للبشر. ومن الأدوات الفنية التي يستخدمها السحار لتطوير الأحداث وإيجاد الترابط بينها وبين الشخصيات، هو الصراع والحوار والرؤيا.

اتبع السحار في هذه الرواية التسلسل الزمني، فتجري الأحداث فيها بترتيب زمني غالبا ولكن مع ذلك قد استفاد بعض الأحيان من بعض المفارقات الزمنية بشكل «الاسترجاع» و«الاستباق». واكتفى السحار بالأماكن التاريخية التي كانت مسرحا لأحداث السيرة النبوية في الفترة التاريخية المحددة. وأكثر السحار من استخدام الحوار في رواية الهجرة بحيث قلما نجد صفحة من الكتاب تخلو من الحوار بين الشخصيات المختلفة.

### المصادر والمراجع

أميرى، جهانگیر وآخرون. (١٣٩٣ش). «تحليل داستان وسوسة الشيطان جودة السحار باتوجه به تكنیکهای داستان نویسی معاصر». مجلة نقد أدب معاصر عربي. السنة الرابعة. العدد ٩. صص ٥١-٧٢.

بجراوى، حسن. (١٩٩٠م). بنية الشكل الروائي. ط ١. بيروت: المركز الثقافي العربي. البيومي، محمد رجب. (١٤٢٢ق). «عبدالحميد جودة السحار في قصصه الإسلامي». مجلة منبر الإسلام. العدد ٦٥٢. صص ١٢٤-١٣٠.

- جرار، مأمون فريز. (١٩٨٨م). خصائص القصة الإسلامية. ط١. جدة: دار المنارة.
- جودة السحار، عبد الحميد. (لاتا). أبو الأنبياء إبراهيم. القاهرة: دار مصر للطباعة.
- جودة السحار، عبد الحميد. (لاتا). القصة من خلال تجاربي الذاتية. القاهرة: دار مصر للطباعة.
- جودة السحار، عبد الحميد. (لاتا). الهجرة. القاهرة: دار مصر للطباعة.
- حسين، طه. (لاتا). علي هامش السيرة. ط٢٥. القاهرة: دار المعارف.
- خليل، إبراهيم. (٢٠١٠م). بنية النص الروائي. ط١. الجزائر: الدار العربية للعلوم ناشرون.
- زيد، صفوت يوسف. (١٩٨٥م). التيار الإسلامي في قصص عبد الحميد جودة السحار. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- سرباز، حسن وعبدالله رسول نژاد وسودابه خسروي زاده. (١٣٩٤ش). «زمان پريشي در رمان چراغهاي آبي حنا مينه». مجله انجمن ايراني زبان و ادبيات عربي. شماره ٣٤. صص ٨٣-١٠٤.
- شلي، محمد. (١٩٧٤م). «آخر حديث مع السحار». مجلة الجديد. العدد ٥١. صص ٤٦-٤٨.
- صابري، علي ومصطفى يگاني. (١٣٩٤ش). «شخصيت انسان متدين در رمانهاي اجتماعي عبد الحميد جودة السحار». مجلة نقد أدب عربي. العدد ٨. صص ٩٧-١١٦.
- قرون، السيد حسن. (١٤٠١ق). «كتاب الشهر / الهجرة». مجلة الأزهر، السنة الثالثة والخمسون، العدد ١. صص ١٩٥-٢٢٢.
- الكردي، عبد الرحيم. (٢٠٠٢م). الراوي والنص القصصي. ط١. القاهرة: دار النشر للجامعات.
- لحميداني، حميد. (١٩٩١م). بنية النص السردى. ط١. بيروت: المركز الثقافي العربي.
- مرتاض، عبدالملك. (١٩٩٨). في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد. الكويت: دارالمعرفة.
- مير صادقي، جمال. (١٣٦٤ش). عناصر القصة. ط١. طهران: نشر شفا.
- نجم، محمد يوسف. (١٩٧٩م). فن القصة. ط٧. بيروت: دار الثقافة.
- هاوثورن، جيريمي. (١٩٩٨م). مدخل إلى دراسة الرواية، تعريب نايف الياسين. ط١. دمشق: مؤسسة النورى.
- وادي، طه. (١٩٩٤م). صورة المرأة في الرواية المعاصرة. ط٤. القاهرة: دار المعارف.

